كلمة التحرير

إن التقدير المتزايد للمجلة الذي عبرت عنه فئات مختلفة من القراء، تنوعت مستوياتهم التعليمية، واختلفت تخصصاتهم العلمية، وتباينت اهتماماتهم الفكرية، وتباعدت مواطنهم الجغرافية، إن مثل هذا التقدير مؤشر مهم على أن الخطاب الذي سعت المجلة منذ نشأته إلى الإسهام في تطويره وإنضاجه إنما هو خطاب يلتحم بشعور دوائر واسعة من مثقفي الأمة ومفكريها بضرورة أن يرتاد الفكر الإسلامي آفاقاً جديدة في حركيته، تجديداً للمنهج في طرح القضايا والنظر فيها، وتطويراً للرؤية في إثارة الأسئلة والإجابة عنها، خروجاً بذلك من مرحلة الركود التي ارتد إليها العقل المسلم في عصرنا حيناً من الدهر. ففي ظل حالة الركود هذه، أصبح العقل المسلم وكأن لا وظيفة له غير إعادة إنتاج مقالات الآخرين ومقولاتهم، سواء أكانوا سابقين من أجيال الأمة المتعاقبة، أم لاحقين من أبناء حضارة الغرب المهيمنة الغالبة.

وإذا كانت المرجعية التاريخية للأمة، في مراحل ازدهارها الحضاري وإشعاعها الثقافي، قد تأسست على قاعدة الوحي الإلهي قرآناً هادياً وسنّةً مرشدة، فإن العقل المسلم الذي استضاء بنور الوحي وتفاعل مع مقرراته ومعطياته، كان عقلاً اجتهادياً منفتحاً غير منكفئ، مُقْدِماً غير متراجع، انفتح على تجارب الإنسانية ما غبر منها وما حضر، فماز طيّبها من خبيثها، واستخلص من تراثها حكمته الباقية وعبرته الماضية، واستوعب الصالح والنافع من إنجازاتها، وضمّ ذلك كله إلى حقائق الوحي الثابتة وقيمه الخالدة، فشاد للمعرفة صرحاً "ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع"، كما جاء في عبارة **الإمام الغزالي** في مقدمة كتابه **المستصفى**.

تلك كانت الصورة الكلية، ولكنها صورة لم تكن طبعاً تخلو من حالات توتر وشدّ وجذب. ولم يكن ذلك التوتر مَرْضيّاً بقدر ما كان توتراً إيجابياً يدعو إلى الحيوية ويحفز العقل على التجاوز والتجديد، بقطع النظر عن التقويم النهائي لما أنجزه هذا العقل في الحقول المعرفية المختلفة التي نشأت وترعرعت في الإطار الحضاري الإسلامي، سواء نسبنا إنجازاته إلى معيار الوحي أو نسبناها إلى ما تحقق في العصر الحديث في ظل حضارة الغرب وثقافته. فما يهمنا هنا هو أن تلك المرجعية التاريخية التي تشكلت ابتداءً على أساس مقررات

الوحي وتعاليمه، قد أوجدت فضاءً ثقافياً عاماً ورؤية كلية مشتركة، هما اللذان يسّرا لحركة الفكر عوامل انطلاقها وللأفكار مجال تفاعلها ونموها، كما وفرا للمدارس العلمية والتيارات الفكرية المختلفة والقوى الاجتماعية المتباينة إطاراً رحباً لنشوئها وتطورها وتكاملها، وذلك كله في سياق جدلية تفاعلية مع واقع الأمة وتطورها التاريخي اجتماعاً وثقافةً وحضارة.

بيد أن تلك المرجعية التاريخية لم يكن لها أن تستمر على هيئتها من التماسك والفعالية والحيوية والنمو، إذ قد أصابها ما أصاب الحضارة الإسلامية من الجمود والتوقف والتحلل، فاختلّت فيها الرؤية الكلية، واهتزت منها القواعد التأسيسية، واضطربت فيها العلاقات بين ما هو رئيس وما هو فرع من عناصرها التكوينية. وأمام ذلك الاختلال والاهتزاز والاضطراب، بل وبسبب ذلك كله، وجدت مرجعيةٌ أخرى – وضعيةُ المنشأ، دهرية التوجه– سبيلَها إلى ثقافة الأمة وفكرها، واحتلت من حياتها مواقع التأثير والتوجيه، فتشكلت على ذلك غالبُ نظمها في السياسة والاقتصاد والاجتماع. وقد آل الأمر نتيجةً لذلك إلى تمكُّن حالة من الازدواجية والانفصام في حياة الأمة بين شعور بالانتماء –وجداناً وتاريخاً– إلى هوية إسلامية جامعة، والخضوع –واقعاً– لأنماط من النظم والعلاقات مجافيةٍ لقيم الإسلام، غير محققة لمقاصده، ولا مستجيبة لتوجيهاته.

ولم تكن الجهود التي شهدتها الأمة طوال ما لا يقل عن قرنين من تاريخها الحديث في عمومها إلا سعياً ناصباً للخروج من حالة الازدواجية والانفصام، بل حالة الضياع التي انتهت إليها، ما يجعلنا ندرك أن الأمر، في حقيقته، يتطلب إعادةَ تأسيس مرجعية الأمة، تأسيساً يستصحب عبرة التاريخ، ويعي مغزى الحاضر ويستجيب لمتطلباته. علي أن إعادة التأسيس هذه ليست أمراً يسيراً وبسيطاً، وإنما لا بد من أن تسبقها عملية منهجية تفكيكاً للمرجعية التاريخية الدائرة والمرجعية الهجينة السائدة بكل عناصرها وأبعادها. ونحسب أن مثل هذه العملية التفكيكية إذا ما أُنجزت بشروطها العلمية ستُفضي بنا إلى درْك أن الجذر التأسيسي للأمة في اجتماعها السياسي وثقافتها (وهو الوحي قرآناً وسنة) ينبغي أن يستعيد مكانته في عملية التأسيس جديداً يتنزل على أوضاع العصر ومعطياته، ومعطاءً يسائله العقل فيستجيب لتساؤلاته وإشكالاته، فيأتي

تأويلُه في الواقع أشكالاً ونماذج وأنماطاً ليس من الضروري أن تكون لها سوابقُ وأشباهٌ فيما سلف من تجارب الأمة.

تلك أفكار وآمال أملاها علينا التأمل في بعض مادة هذا العدد الذي نرجو أن يكون ما ورد فيها مدخلاً لافتتاح مرحلة جديدة من البحث والنظر لا في حياة المجلة فقط، وإنما في حياتنا الفكرية والعلمية عامة.

في هذا العدد يدعونا **محمود الرشدان** إلى البحث عن نظام المعرفة في القرآن الكريم، منبهاً إلى جملة من القضايا التي ينبغي أن تحتل الأولوية في مثل هذا البحث عن نظام المعرفة في القرآن الكريم، منبهاً إلى جملة من القضايا التي ينبغي أن تحتل الأولوية في مثل هذا البحث، وإلى التجليات التي يمكن أن تكون لها في الواقع الثقافي والتربوي للأمة.

أما **التيجاني عبد القادر** فيتخذ قضايا السياسة وهمومها مدخلاً إلى التعامل مع القرآن الكريم وتحمل هدايته، مقترحاً نهجاً في التفسير والتأويل يقوم على محاولة بناء نموذج علمي لتفسير الظواهر السياسية وحل إشكالاتها النظرية والعملية، غايته في نهاية المطاف الربط بين هداية الوحي وما يطابقها من أوضاع الاجتماع السياسي وعلاقاته.

ويأخذنا **عبد الوهاب المسيري** في إطلالة على حضور الفكر اليهودي وأثره فيما عرف في الثقافة الغربية الراهنة بفكر ما بعد الحداثة القائم على التفكيك وهدم كل المرجعيات، والدعوة إلى حالة من السيولة وغياب المركز. وبذلك يسهم الكاتب في توسيع نطاق رؤيتنا للآخر (الغرب) وتعميق فهمنا لمصادر الإلهام في ثقافته.

أما **أنس الشيخ علي** فينهض باستقصاء ملامح صورة الأسلام والمسلمين كما ترسمها –باللغة الإنجليزية– الرواية الشعبيةُ في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. ولعل ما قام به الكاتب في هذا المقال يدخل في عداد الأبعاد في اهتمامات المثقف المسلم وهو يتابع تطور نظرة الآخرين إليه.

وتضيء مراجعاتُ الكتب المنشورة في العدد جوانبَ مختلفة من قضايا وإشكالات هي مما يشغل بال الكثيرين ويؤرق أذهانهم.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

هيئة التحرير